المسلمات الواقعية و مستويات التحليل في العلاقات الدولية

**أولا: المسلمات الواقعية**

تم في محاضرات سابقة التطرق إلى الواقعية الكلاسيكية والواقعية الجديدة، وتم التعرف على افتراضاتهما الأساسية، حيث تم التوصل في النهاية إلى ما يلي:

* الواقعية في العلاقات الدولية مدرسة تشاؤمية لأنها تؤمن بوجود واقع ذو ملامح و حقائق غير قابلة للتغيير، بل يجب على الإنسان و صانع القرار و المؤثر أن يقتنع بذلك و أن يحاول أن يفهم هذا الواقع و يبحث في كيفية التصرف حياله؛
* الإنسان شرير بطبعه، أناني، و عدواني يسعى إلى الامتلاك و السيطرة، و اللجوء إلى

الأخلاق و القانون لن يكون إلا آخر الحلول.

* السياسة و الأخلاق متعارضان.
* الفوضوية سمة أساسية و دائمة في النظام الدولي؛ حيث لا توجد سلطة مركزية كما هو

الحال داخل الدولة، و لها القدرة على فرض النظام و القانون و معاقبة المعتدين و المخالفين و إجبارهم على الامتثال. و هي حالة توصف كما عبر عنها هوبز Hobbes  بأنها حرب الكل ضد الكل.

* الدولة هي الفاعل الأساس و الوحيد في العلاقات الدولية. و هي فاعل عقلاني Rational Actor.
* المصلحة الوطنية National Interest، القوة Power، القوة العسكرية Military Power، هي المتغيرات التي تؤثر و تحرك العلاقات بين الدول.
* البقاء Survival هو الهدف الأسمى لدى الدولة، و توازن القوى Balance of Power  هي السياسة الأنجع في التعامل مع فوضوية المجال الدولي و لمنع أي دولة من التوصل إلى ذلك المستوى من القوة الذي يسمح لها بالهيمنة Hegemony.

-         تتفق الواقعية الكلاسيكية  و التي قامت على أفكار ميكيافيللي Machiavelli ( الأمير Le Prince) و هانز مورغانثو Hanz Morgenthau ( كتاب السياسة بين الأمم Politics Among Nations، 1984) عن الواقعية الجديدة التي قامت على أفكار  كينيث وولتز Kenneth Waltz (كتاب نظرية السياسة الدولية Theory of International Politics، 1979) و كذلك جون ميرشايمر John Mearsheimer ، من حيث أن الأولى تعتبر أن الطبيعة البشرية (التنافس، المصلحة الخاصة، الرغبة في كسب المزيد من القوة)  هي التي تحرك الدول، أما الثانية فتعتبر بأن الطبيعة الفوضوية للبيئة الدولية هي التي تجعل الدولة تتصرف بشكل معين، و تحديدا توزيع القوة و ترتيب الدولة ضمن هذه البيئة  هو المحدد الأساس و ليس الطبيعة البشرية، و بأن الأمن هو الهدف الأسمى لدى الدولة.

- يتفق كلاهما بأن المصلحة القومية هما المحددان الرئيسيان لتصرفات الدول، و بان البيئة الدولية هي بيئة فوضوية تفتقر إلى سلطة قادرة على توفير الحماية و فرض النظام.

- انقسمت الواقعية الجديدة أو كما تسمى أيضا بالواقعية البنيوية Structural/Neorealism إلى:

* الواقعية الدفاعية Defensive Realism  و التي يرى كينيث والتز بمن خلالها أن الدولة لا يجب أن تحصل على أكبر قدر ممكن من القوة لأن هناك من سيعاقبها على ذلك، و ليس من العقلانية أن تسعى إلى الهيمنة.
* الواقعية الهجومية Offensive Realism و التي يرى جون ميرشايمر من خلالها أنه على الدولة أن تحصل على أكبر قدر ممكن من القوة، و أن لا تضيع أية فرصة تسمح لها بذلك، و بأنها يجب أن تسعى إلى الهيمنة متى أمكن لها فعل ذلك.

**ثانيا: مستويات التحليل في العلاقات الدولية** Levels of Aanalysis

قبل التوسع أكثر في نظريات العلاقات الدولية، يجب أن تكون هناك دراية بما يعرف بمستويات التحليل في العلاقات الدولية Levels of Analysis. يمكن  تحليل الفواعل و تفاعلاتهم ضمن ثلاث مستويات:

* المستوى الدولي International Level: أين تتفاعل الدول مع بعضها البعض، في إطار المؤسسات الدولية أحيانا.
* المستوى الداخلي/المحلي Domestic Level: أين تتفاعل الفواعل تحت الوطنية Subnational Actors في إطار المؤسسات الداخلية.
* المستوى عبر الوطني Transnational Level: أين تتفاعل الجماعات التي يتجاوز تأثير أعضائها الحدود الوطنية و تحاول التأثير في السياسات الدولية و الداخلية.

تجدر الإشارة إلى أن  مصطلح مستويات التحليل يعود إلى البروفيسور الأمريكي David Singer  سنة 1961؛ و هو يرى بان المستوى الدولي يحتوي جميع التفاعلات التي تحدث ضمن النظام الدولي، أما المستوى الداخلي فهو يتضمن فحص الدول وفق تفاصيل أكبر و أدق، و يسمح بالتوصل إلى تفسيرات مُرضية للعلاقات الدولية، و ينطلق من اختلاف مصالح الدول و بالتالي يسمح بالتساؤل حول أسباب ذلك.

و لكن، كينيث وولتز في كتابه "الإنسان، الدولة و الحرب «Man, the State and War » يقدم ثلاث مستويات تعمل جميعها في ظل فوضوية النظام الدولي، و النظام هو عدد من الوحدات التي تتفاعل ضمن بنية معينة:

* مستوى الفرد Individual Level انطلاقا من الطبيعة البشرية.
* مستوى الدولة State Level انطلاقا من طبيعة الدول.
* مستوى النظام الدولي International System Level.

و يخلص البروفيسور بل نيومان Bill Newmann إلى أن هناك أربع مستويات تحليل في العلاقات الدولية، و هي:

* مستوى النظام System Level: في هذا المستوى من التحليل يتم التركيز على سلوك الدولة في النظام الدولي على أساس أن النظام الدولي هو الذي يؤثر في سلوك الدولة. و قوة الدولة هي المتغير المحوري في هذا المستوى من التحليل حيث توجد دول قوية و دول ضعيفة و يمكن بناء على ذلك، أي على طبيعة النظام الدولي و القوى الموجودة فيه تفسير سلوك الدول.
* مستوى الدولة State Level: يقوم على تفسير السياسة الخارجية من حيث طبيعة الدولة و خصائصها (طبيعة النظام السياسي، المحيط الجغرافي، المتغير الثقافي، الإرث التاريخي، التقاليد الدينية و الاجتماعية، المتغيرات الاقتصادية و الجغرافية ...الخ) .
* المستوى التنظيمي Organizational Level: يتم وفق هذا المستوى التركيز على الكيفية التي تؤثر بواسطتها المنظمات داخل الدولة على السياسة الخارجية؛ فهذه الأخيرة ليست نتاج صنع القرار من طرف الدولة، بل هي نتيجة تسوية بين المؤسسات المختلفة التي تصنعها (وزارة الدفاع، المؤسسة العسكرية، وزارة الخارجية، جهاز المخابرات ...الخ).
* مستوى الفرد Individual Level: يتم التركيز في هذا المستوى على الأفراد بكونهم هم الذين يصنعون القرار داخل الدولة، و بالتالي هم الذين يصنعون السياسة الخارجية ( دور القادة في السياسة الخارجية من حيث نمط إدراكهم و نظام المعتقدات الذي أثر عليهم في مواقف معينة).